الفصل الرابع

العبادات في الأديان الكتابية المحرفة وبعدها عن تحقيق العبودية

وفيه:

تمهيد

- المبحث الأول : العبادات عند اليهود.
- المبحث الثاني : العبادات عند النصارى.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

رأينا فيما سبق(١) بعضا من العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى للوصول إلى غاية خلق الكائنات كلها. ألا وهي عبوديتها له سبحانه، كما أوضحنا منهج الإسلام في تحقيق عبودية الكائنات كلها له سبحانه.

وها نحن في هذا الفصل إذ نبين منهج الديانات الكتابية ـ اليهودية والنصرانية ـ المحرفة، والبعد الشاسع بينها وبين تحقيق العبودية لله تعالى من خلال العبادات التي شرعت وابتدعت، والتي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ﴾ [الحديد : ٢٧] ، وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ [التوبة: ٣١].

أي أن اليهود والنصارى أطاعوا أحبارهم ورهبانهم فيما أحلوه من الحرام وحرموه من الحلال (٢)، وهذا يدلنا على أن كثيرا من الشرائع والعبادات التي لدى اليهود والنصارى من صنع علمائهم. أما المسلمون فهم يعبدون ربهم عز وجل بما شرعه هو سبحانه لهم ـ في كتابه المحفوظ الذي لم يتبدل ولم يتغير بل تكفل الله تعالى بحفظه كما أخبر بذلك ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ـ وبما شرعه رسولهم ﷺ في سنته.

---

(١) في المبحث الأول من الفصل الثاني.

(٢) وهو مافسر به النبي ﷺ الآية لعدي بن حاتم، ترمذي: ك، التفسير ـ ب: سورة التوبة. وصححه: ح٢٤٧١.

هذا وإن كان قد نبت فيهم من خرج عن منهج الله تعالى ورسوله ﷺ فابتدع ما شاء من عبادات متبعا اليهود والنصارى في ذلك. فاليهود والنصارى قد اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله تعالى فضلُّوا وأضَلُّوا. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴾ [القصص : ٥٠].

لقد كانت الديانة اليهودية وكذلك النصرانية في أصلهما – كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم – هي الإسلام الصافي وديانة التوحيد الخالصة، والتي تتجلى فيها علاقة العبد بربه عز وجل، ويتصف بها الله تعالى بصفات الكمال والتنزيه عن كل نقص.

ولكن حدث مع الزمن في هذه الديانة تغير وبُعد عن هذا الأصل الذي جاء به موسى وعيسى عليهما السلام، فدخلت فيه الأهواء والبدع والتحريفات خاصة في الكتاب المنزل عليهم مما زاد في تشويه هذا الأصل. بدءاً بعقيدة الألوهية التي تعرضت للتحريف الشديد وانتهاءاً بالشرائع والعبادات التي لم تعد تحقق الغاية منها بأدائها بعد تحريفها فيشعر العبد بعبوديته لله تعالى كما يستشعر عظمة خالقه، فَشُوِّهَت معالمها وأصبحت طقوساً تؤدى، إضافة إلى ما ابتدعوه فيها كالرهبانية، وصكوك الغفران، وعصمة الباباوات وغيرها – بالنسبة للنصارى – .

فهكذا، إله غير واضح الرؤية والمعالم، مُشَوَّه ، ويُعبد بشرائع وعبادات مبتدعة من صنع العابدين .

فأي ديانة هذه التي تنقص من الذات العلية في صفاته وأفعاله ـ كما فعلت اليهود؟! أم أي ديانة هذه التي تجعل إلهها اثنين وثلاثة، وتجعل العبد إلها ، والإله يموت كما يموت البشر ـ كما زعمت النصارى ـ ؟!

يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – مقارنا الدين الإسلامي بالديانات الأخرى المحرفة من المجوسية واليهودية والنصرانية :

« وكيف لا يميز من له أدنى عقل يرجع إليه بين دين قام أساسه وارتفع بناؤه على عبادة الرحمن، والعمل بما يحبه ويرضاه مع الإخلاص في السر والإعلان، وبين دين أُسس بنيانه على شَفَا جُرُفٍ هَار فانهار بصاحبه في النار، أو دين أسس بنيانه علي عبادة الصلبان والصورة المدهونة في السقوف والحيطان، وأن رب العالمين نزل عن كرسي عظمته فالتحم ببطن أنثى وأقام هناك مدة من الزمان بين دم الطمث في ظلمات الأحشاء تحت ملتقى الأعكان، ثم خرج صبيًّا رضيعًا يشب شيئا فشيئا ويبكي ويأكل ويشرب ويبول وينام ويتقلب مع الصبيان. هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان. فما ظنك بفروعٍ هذا أصلها الذي قام عليه البنيان؟!.

أو دين الأمة الغضبية الذي انسلخوا من رضوان الله كانسلاخ الحيَّة من قشرها، وباءوا بالغضب والخزي والهَوان، وفارقوا أحكام التوراة ونبذوها وراء ظهورهم واشتروا بها القليل من الأثمان، فترحل عنهم التوفيق وقارنهم الخذلان واستبدلوا بولاية الله وملائكته ورسله وأوليائه ولاية الشيطان »[1].

فبنوا إسرائيل منذ القدم قد أتعبوا موسى عليه السلام، فلم تقبل عقولهم ونفوسهم إلهًا لا يرونه، فعلقوا إيمانهم بموسى عليه السلام وبرسالته على رؤية الله تعالى. يقول عز من قائل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ﴾ [البقرة: ٥٥]. فكانوا يريدون إلهًا مجسمًا محسوسًا مرئيًّا وهو ما طلبوه بالفعل حيث يخبر الله تعالى عنهم: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) ﴾ [الأعراف : ١٣٨].

وقد كان من المفروض عليهم ـ شرعا وعقلا ـ أن يكونوا أكثر عبودية لله تعالى لإحسانه إليهم حيث أنجاهم من فرعون الطاغية وجنوده الظالمين، وجاوز بهم

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم : ص ٣ ـ ٤ .

البحر بفلقه حتّى يتسنَّى لهم عبوره، ولكنهم ما إن ثبتت أقدامهم بعد نجاتهم من فرعون وجنوده حتى وقعوا في الشرك به سبحانه بسؤالهم موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنما ليتخذوه إلها.

وأما النصارى فكانوا في الضلال – مقارنة باليهود – أشد وأنكى والعياذ بالله تعالى، فلما أجرى الله عز وجل على يد عيسى عليه السلام بعض المعجزات الخارقة لعادة البشر بإذن منه سبحانه، اعتقد بعض النصارى بأنه الإله، واعتقد الكثيرون منهم بأنه ابن الله – تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا –.

ورغم بيان عيسى عليه السلام لهم أن تلك المعجزات كل واحدة منها على حدة بإذن من الله تعالى. كما أخبر الله عز وجل عما قاله عيسى عليه السلام لقومه: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩]. ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

ورغم ولادته وحياته التي عايشوها بأنفسهم – ورغم ذلك كله – فإنهم لم يعبأوا بما قال لهم واندهشوا من المعجزات التي رأوها أمام أعينهم فنسبوها إلى الذي أجراها أمامهم ولم ينسبوها إلى خالقها الحقيقي والذي تمت بإذنه، فَضَلُّوا وكفروا. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

كما كانت النصارى ـ أيضًا – واليهود من قبل في التبجح على الله تعالى سواء بسواء، فبنو إسرائيل أرادوا رؤية الله تعالى وتجسيمه في زمن موسى عليه السلام، أما في زمن عيسى عليه السلام فقد شَكُّوا في قدرة الله تعالى في إنزال مائدة من السماء، والذي يزيد في الأمر دهشة أن قائل ذلك هم الحواريون! قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢)** ﴾ [المائدة : ١١٢].

وهكذا نرى أن اليهود والنصارى قد تصوروا الإله الحق في صورة مشوهة ، وتخيلوه في صورة مجسمة كما وصفوه بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص مثل: الضعف، والكذب، والغفلة، والظلم، والحزن، والندم، والحلول، والولادة، والأكل والشرب ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ـ .

فإن كان هذا تصورهم للذات العلية، فكيف بشرائعهم وعباداتهم؟!.

هذا ما سوف نتكلم عنه ـ بمشيئة الله تعالى ـ في المبحثين الآتيين حتى نبين العبادات عند كل من اليهود والنصارى وكيف أنها بعدت عن تحقيق العبودية لله تعالى، وذلك من خلال أسفارهم ودينهم المحرف، أما ما أنزله الله تعالى على موسى وعيسى عليهما السلام وهو الإسلام ـ وهو الأصل في الرسالات كلها ـ فهو بلاشك الدعوة إلى عبودية الله تعالى وحده لا شريك له.

المبحث الأول
العبادات عند اليهود

اليهود في سطور:

هم تلك الأمة التي غضب الله تعالى عليها ولعنها وأعد لها العذاب الأليم في الدنيا بتشريدهم في مشارق الأرض ومغاربها، وضرب الذلة والمسكنة عليهم وفي الآخرة أعد لهم جهنم وبئس المصير .

أمةٌ مغضوبٌ عليها، عرفت من خلال تاريخهم وأسفارهم على مر العصور بالتعنت والضلال وعبادة العجل الذي صنعته أيديهم، ونسبة النقائض إلى الله تعالى، وبقتل الأنبياء ورميهم بأشنع الاتهامات، وبجرأتهم على خالقهم ونبيهم موسى عليه السلام بقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، وبقولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة: ٢٤]، وبقولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦]، وبقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وبقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

كما عرفت هذه الأمة بنقض العهود ، وتحريف كتاب الله تعالى ـ التوراة ـ وتبديل أحكامه وتحريف الكلم عن مواضعه، وبالحسد، وبالسحر، كما اشتهرت بالخبث والبهت، وبأكل الربا وقد نهوا عنه، وبالتكذيب بعيسى عليه السلام ورميهم له ولأمه بالعظائم والحرص على قتله.

كما عرفت بتكالبها على الدنيا وحرصها عليها، وبقسوة القلب، وبكثرة السخرية من أنبياء الله تعالى وأتباعهم ، هذا إلى جانب العديد من مثالب هذه الأمة الغضبية والتي ملأت كتبهم قبل كتب مخالفيهم .

فماذا يظن بشريعة وعبادة قوم تلك صفاتهم وتلك أحوالهم؟! لاشك أن ما جاءت به رسلهم من عند الله هو الحق المبين . ولكنهم أعرضوا عنه وبدلوه بالباطل

ووضعوه بأيديهم في كتابهم وادعوا أنه من عند الله فأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحله ـ قاتلهم الله أنى يؤفكون ـ قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾ [البقرة: ٧٩].

أساس دين اليهود :

تقوم كل الشرائع والعبادات عند اليهود على العنصرية الشديدة لجنسهم، وهي أهم ما يميز هذه الديانة، وتعتبر أتباعها هم شعب الله المختار، كما تعتبر جميع الأجناس ـ من غير اليهود ـ كلابًا وخنازير وخرافًا قد سخرهم الله تعالى لخدمتهم كما ورد ذلك في أسفارهم المحرفة وتظهر هذه العنصرية في زعمهم:

[١] أن إلههم إله خاص بهم وهو إله إسرائيل، وأنهم هم أبناؤه وأحباؤه [١].

وأنه ليس إله الأمم الأخرى بل لها آلهة خاصة بها [٢]؛ لذا فاليهود يعتزون بجنسهم أشد الاعتزاز ولا يريدون من أحد أن يعتنق دينهم .

[٢] قد ورد في بعض فقرات التلمود [٣] أن الجنة لا يدخلها إلا اليهود وأن النار لغير اليهود [٤]، وهو ما أخبر الله تعالى به حكاية عن قولهم وقول النصارى

---

(١) تعليق : إذا فلم يكتب الله تعالى عليهم الذلة والمسكنة واللعنة والغضب التشريد من الأرض على مر العصور؟!! وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة: ١٨].

(٢) الأسفار المقدسة : على عبد الواحد : ٢٧ .

(٣) التلمود : تنقسم الأسفار لدى اليهود إلى قسمين :
الأول : تعاليم مكتوبة هي التوراة، والثاني : تعاليم شفهية سموها (المشناة) بمعنى : الشريعة المكررة ثم تتالت العصور فصعب على اليهود فهم المشناة، فوضع أحبارهم شرحا وحواشي وتعليقات على المشناة سموها (الجمارا) ثم سمي المشناة وشرحه الجمارا معا بالتلمود، وهو نوعان: تلمود أورشليم وتلمود بابل، وإذا أطلق التلمود فينصرف إلى تلمود بابل لأنه أوسع . (من محاضرات مادة الأديان ، د. عبد العزيز عبيد التي درست لطلبة السنة المنهجية سنة ١٤٠٦هـ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة) . وزاد د. علي عبد الواحد بأن التلمود: هو الأسفار الخفية لدى اليهود، وتتكون من ثلاثة وستين سفرا، وضعها أحبار اليهود من الفريسيين وغيرهم، وهم دون غيرهم من فرق اليهود يعتقدون قدسيتها ولا يدخل النصارى أسفار التلمود ضمن أسفار العهد القديم ولا يعتبرونه مقدسا . (راجع الأسفار المقدسة : على عبد الواحد : ٢٠)

(٤) الأسفار المقدسة : علي عبد الواحد : ٣٤ .

من بعدهم : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) ﴾ [البقرة :١١١ - ١١٢].

[٣] يحرم القتل فيما بين اليهود كما يحرم عليهم إخراج بعضهم البعض من ديارهم، في حين أنه مباح لهم قتل غير اليهود واسترقاق نسائهم وأولادهم، بل من الواجب عليهم ذلك(١).

ونجمل ما جاء في عنصرية تلك الأمة ما نقله الدكتورأحمد شلبي فقال: «جاء في التلمود أن الأسرائيلي معتبر عند الله تعالى أكثر من الملائكة وأن اليهودي جزء من الله، فإذا ضرب الآدمي إسرائيليًا فكأنه ضرب العزة الإلهية ، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان، هو بقدر الفرق بين اليهودوغير اليهود، ولليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم غير اليهودي، والشعب المختار هم اليهود فقط، أما باقي الشعوب فهي حيوانات، ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم، ويلزم التلمود بني إسرائيل أن يغشوا سواهم، فقد جاء فيه: يلزم أن يكون طاهراً مع الطاهرين ودنسا مع الدنسين. ويمنع التلمود أن يحبوا غير اليهود ما لم يخشوا ضررهم، ويجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود ولايجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود، كما أنه مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي ويحلف له أيمانًا كاذبة. ولا يغفر الله ذنبًا ليهودي إن رد للآدمي ماله المفقود ولا يصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا، وأرواح غير اليهود ليست لها حرمة، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الآدميين من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها، بل إذا وجد ذلك لزمه أن يسد الحفرة عليه بحجر!!»(٢) اهـ .

---

(١) سفر التثنية : إصحاح : ٢٠ - فقرتي ١٣، ١٤ .

(٢) مقارنة الأديان - اليهودية - : ٢٧٦ - ٢٧٨ .

إن ما سبق بيانه ـ وغيره كثير ـ يدل على مظهر التفرقة العنصرية الذي تتسم به الشرائع لدى اليهود، أضف إلى ذلك مظاهر التضارب واختلاط المسائل التي بها، مما يؤكد على أن أسفارهم من صنع أيديهم وأنه لايوجد ثمة تشابه بين توراتهم المزعومة وبين التوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢][(١)]؛ فالشريعة التي من عند الله تعالى لا تقر بحال العنصرية بين أفراد الآدميين، بل إن معايير التفرقة بينهم هو مدى تقواهم لله عز وجل واتباعهم لشرعه.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات : ١٣].

وصف الذات العلية لدى اليهود:

تصف الأسفار اليهودية الذات العلية في صورة مجسمة، متصفة بكثير من صفات الحوادث والنقص . فمن أمثلة ذلك :

[١] ما ورد في سفر التكوين في قصة آدم وحواء وإخراجهما من الجنة وأن الله بحث عنهما مخترقًا طرق الجنة بعدما أكلا من الشجرة وكانا مختبئين لا يراهما ربهما عريانين[(٢)]، وهذا من بعض سخافاتهم واستخفافهم بالله تعالى في نسبة الجهل إليه سبحانه واختراقه طرق الجنة قائلاً لآدم: يا آدم أين أنت؟ قال: اختبأتُ لأنني عريان. نعوذ بالله من الشياطين.

[٢] كذلك ما ورد في سفر التكوين أن يعقوب عليه السلام لقي الله وصارعه ذات ليلة حتى بزغ الفجر ولم يستطع الله التغلب على يعقوب وطلب من يعقوب أن يخلي سبيله، فلم يقبل يعقوب ذلك إلا أن يباركه الرب فباركه »[(٣)].

---

(١) الأسفار المقدسة : ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) سفر التكوين : اصحاح ٣ .

(٣) سفر التكوين : إصحاح ٣٢، فقرة ٢٤ ـ ٣٢ . تعليق : لذا فلقب يعقوب من يومها ـ على زعمهم ـ بإسرائيل أي مصارع الله وسمي المكان الذي جرت فيه المصارعة فنوئيل أو فنيئيل ومعناه وجه الله.

[٣] ومن ذلك أيضاً ما يرويه هذا السفر في قصة إهلاك قوم لوط إذ يذكر أن الله واثنين من الملائكة جاءوا إلى إبراهيم فسألهم أن يستريحوا تحت ظل شجرة وأخذوا يأكلون مما قدمه إليهم(١).

إلى غير ذلك من النقص الذي ألصقوه بذات الله تعالى وصفاته مما يخجل المرء ويخاف في الوقت نفسه من تدوينه على سبيل النقل والاستدلال(٢)!!.

يقول الدكتور أحمد شلبي: «لم يستطع بنو إسرائيل في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا إليه الأنبياء، فكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً في جميع مراحل تاريخهم» (٣).

وصدق الله تعالى القائل: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** (٦٧) ﴾ [الزمر : ٦٧] فقد بعدوا عن العبودية الحقة لله عز وجل وشطوا شططاً لا حدَّ له.

صور من عبادات اليهود:

إن الدين الذي لدى اليهود اليوم ـ وكذلك النصارى ـ هو دين الحاخامات والأحبار والرهبان وليس دين الله تعالى الذي أنزله على رسوله موسى عليه السلام أو من قبله أو من بعده من الأنبياء؛ إذ شرع لهم الأحبار اليهود وعلماؤهم عبادات من صلاة وصوم ـ وغيرهما ـ لم ينزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ولم يأمرهم بها.

---

(١) سفر التكوين : إصحاح ٦ ـ فقرة ١ ـ ٥ .

تعليق : ولايجدون خجلا في كتابة هذا، ولا أحد منهم ينكر عليهم مادونوه بأيديهم إذ كيف يكون الإله مجسما على هيئة رجل يأكل ويشرب ويغسل رجله وينسب إليه الراحة من عناء السفر. تعالى الله عما قالو علوا كبيرا .

(٢) لمزيد من المعلومات لبيان وصف اليهود للذات العلية . راجع : (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم: ١٦٣ / ١، (الأسفار المقدسة) علي عبد الواحد : ٢٣ ـ ٣٥ ، اليهودية : أحمد شلبي : ١٨٠ .

(٣) مقارنة الأديان : اليهودية : ١٨٠ .

والشاهد من صلاتهم وأدعيتهم أنهم يعبدون الله تعالى للمصلحة فقط ألا وهي إعادة بناء الهيكل ورجوع مملكة اليهود في أورشليم، لا لأنه سبحانه عز وجل يستحق العبادة دون غيره وأنهم عبيد يخضعون له سبحانه فتظهر فيهم العبودية.

فتمسكوا بما شرعه لهم أحبارهم وعلماؤهم إذ يحقق لهم المصالح الدنيوية، وهذا ما يتجلى في عبادتهم، فنذكر منها :

١ ـ صلاتهم ودعاؤهم وابتهالاتهم:

فإنهم يقولون في صلاتهم: «اللهم اضرب ببوق عظيم لفيفنا واقبضنا جميعًا من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك، سبحانك يا جامع شتات قوم إسرائيل».

ويقولون: «ارْدُد حكامنا الأولين ومسراتنا كالابتداء وابنِ أورشليم قرية قدسك في أيامنا وأعزنا بابتنائك سبحانك يا باني أورشليم» (١).

فلما رأوا لا فتح لهم ولا بناء لهم لهذه المملكة وهذا الهيكل في أرض السلام ـ أورشليم ـ وأن هذا الأمل قد طال بهم وضاقوا بذلك ذرعًا، تطاولوا على الله تعالى واتهموه بالغفلة وأمروه أن يستيقظ .

فإنهم في العشر الأول من الشهر الأول من كل سنة ـ يهودية ـ يقولون في صلاتهم: «لم تقول الأمم: أين إلههم؟ انته ! كم تنام يارب؟ استيقظ من رقدتك!! » (٢).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ تعليقًا على هذا الإفك المفترى: «وهؤلاء إنما أقدموا على هذه الكفريات من شدة ضجرهم من الذل والعبودية وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بُعدًا فأوقعهم ذلك في الكفر والتزندق الذي لا يستحسنه إلا أمثالهم وتجرأوا على الله سبحانه وتعالى بهذه المناجاة القبيحة. كأنهم ينخونه بذلك لينتخي لهم ويحمي لنفسه، فكأنهم يخبرونه سبحانه وتعالى بأنه قد

---

(١) راجع : إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان ـ لابن القيم : ٢ / ٣٢٧ .

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : لابن القيم : ٢ / ٣٣٨ .

اختار الخمول لنفسه ولأحبابه ولأبناء أنبيائه فينخونه للنباهة واشتهار الصيت »[١] اهـ.

فلم تكن لديهم ـ والله تعالى أعلم ـ صلاة منتظمة كما لدى المسلمين في وجوب المحافظة عليها وعلى شروطها وأركانها، اللهم إلا من قبل الأنبياء حيث يتضرعون إلى خالقهم بأن يرفع غضبه وسخطه عن شعب اليهود الذين طغوا وتمردوا . ومن ذلك : تضرع النبي إرميا برفع الغضب والسخط عن بني إسرائيل، فيرد الله عليه بقوله ـ كما جاء في كتابهم ـ : « وأنت فلا تصل لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة لأني لا أسمع في وقت صراخهم إلاَّ من قبل بليتهم »[٢].

وتضرع النبي دانيا إلى الرب حين ضربت مدينة أورشليم في وقته: « فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته وأضِءْ بوجهك على مقدسك الخرب ».

وقوله أيضا : « يا سيد اسمع يا سيد اغفر أصغ واصنع لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهي لأن اسمك دعي على مدينتك وعلى شعبك »[٣].

أو تضرع وصلاة النبيّ نحميا حين يقول: « يا سيد ـ لتكن أذنك مصغية إلى صلاة عبدك وصلاة عبيدك الذين يريدون مخافة اسمك »[٤].

ويلحظ القارىء المؤمن ـ الذي استقر إيمانه على تنزيه الإله الحق في دعائه واتصاف خالقه بصفات الكمال ـ أثر اليد العابثة التي حرفت الكلم عن مواضعه في الأمثلة السابقة والتي لم يراع فيها الأدب مع الخالق عز وجل ولا حسن المسألة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سفر إرميا : إصحاح ١١ ـ فقرة ١٤ .

(٣) سفر دانيال : إصحاح ٩ ـ فقرة ١٧ ـ ١٩ .

تعليق : هؤلاء الذين ذكروا بالنبوة عند اليهود مثل : إرميا ودانيا ونحميا وغيرهم ليس لدينا نحن المسلمين ما يثبت نبوتهم أو ينفيه ولذلك نتوقف في التصديق في نبوتهم وفيما نسب إليهم.

(٤) سفر نحميا : إصحاح ١ ـ فقرة ١١ .

ولاتنزيهه عن المشابهة بالمخلوق ـ فجعلوا لله أذنًا، إلى غير ذلك من المصلحة والمنفعة الدنيوية من وراء أدعيتهم لبناء الهيكل .

فالأنبياء معصومون ومنزهون عن أن يُنسبوا إلى خالقهم نقصا، ولايصدر منهم مثل ذلك ألبتة، ومثل تلك النصوص السابقة بل تزيد عنها ـ في النقص وعدم تنزيه الرب سبحانه وعدم الأدب معه ـ ما جاء في بعض الأدعية المنسوبة إلى بعض أنبيائهم كما ورد في سفر إرميا ما نصه: «دعوت باسمك يارب من الجب الأسفل بصوتي سمعت لاتستر أذنك عن زفرتي، عن صياحي» (١).

ونص آخر في سفر نحميا وفيه : «أيها الرب إله السماء الإله العظيم المخوف الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه . لتكن أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك الذي يصلي إليك نهاراً وليلاً» (٢).

وتظهر على تلك الأدعية ـ وغيرها مما هو مدون في كتبهم ـ عدم التزام الأدب مع الله عز وجل وإساءة الطلب والمسألة كما لايظهر فيها تذلل العبد لربه لإظهار خضوعه وعبوديته لخالقه جل وعلا، كما تفتقر إلى ذكر الثناء على الله عز وجل بما هو أهله، وتنزيهه تعالى بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلى. وهو ما يدل على فقدان تلك الأدعية لعبودية الله تعالى الحقة.

وأما عن الابتهالات فإنها تظهر بوضوح في سفر المزامير حيث فيها تهاليل وتسابيح وتمجيد للرب. كما تظهر فيه الصلة الوثيقة بين العبد وربه، وافتقار العبد لخالقه وتنزيه الله تعالى عن النقص، ونعته بالصفات العُلَى والأسماء الحسنى، وفيها من الخضوع والتذلل إلى الله تعالى ما يجد أثره كل قارىء لهذا السفر. وهذا يجعلنا نستأنس إلى أنها قد تكون من تسابيح داود عليه السلام ومزاميره. فورد في أحد المزامير المنسوبة إليه ما نصه: «هللويا .. سبحوا الرب من

(١) سفر مراثي إرميا : إصحاح ٣ ـ فقرة ٥٥ ـ ٥٧ .
(٢) سفر نحميا : إصحاح ١ ـ فقرة ٥ ـ ٦ .

السماوات سبحوه في الأعالى سبحوه يا جميع ملائكته سبحوه ياكل جنوده سبحيه يا أيتها الشمس والقمر سبحيه ياجميع كواكب النور سبحيه ياسماء السماوات ويا أيتها المياه التي فوق السموات، لتسبح اسم الرب لأنه أمر فخلقت وثبتها إلى الدهر والأبد وضع لها حدا فلن تتعداه» (١).

وهذا النص يوافق إخبار نصوص القرآن الكريم عن تسبيح تلك الكائنات كلها لله رب العالمين. منها قوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(٤٤) ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

ولكن عجبا لهذه الأمة الغضبية التي جمعت بين المتناقضين وفرقت بين المتماثلين !!

فهذا داود عليه السلام الذي نسبوا إليه في كتابهم هذه الأدعية والتسابيح والابتهالات والتي فيها تنزيه الله تعالى وافتقار العبد لخالقه وإظهار عبوديته لمولاه، هو نفسه قد ألصقوا به أعمالا قبيحة تتنافى مع عصمة الله تعالى له ، بل تتعارض مع الخُلق الكريم في ذاته ولايتصور صدورها إلا من سقطة الناس. وكان من المفروض عليهم أن يقتدوا بهذا النبي الكريم فى عبوديته لله عز وجل ولكنهم عوضا عن ذلك نسبوا إليه ما يتناقض مع ما عُلِمَ منه من إخلاص العبودية لله عز وجل، حيث زعموا في أسفارهم المحرفة ـ زوراً وبهتاناً ـ أن داود عليه السلام وقع نظره على امرأة أحد جنوده وهي تستحم عارية فشغف بها وَزَنَا بها ـ ثم تحايل بعد ذلك على قتل زوجها (٢) ـ فتبًّا لتلك القلوب القاسية التي هان عليها سب الأنبياء .

---

(١) سفر المزامير : المزمور ١٤٨ ـ فقرة ١ ـ ٦ .

(٢) سفر صموئيل الثاني : إصحاح ١١ .

٢ ـ صيامهم :

وأما عن صيامهم : كصوم (إحراق بيت المقدس) ، وصوم (أحصا) ، وصوم (كدليا) التي جعلوها فرضا، فإنه لم يصمها موسى عليه السلام ولا يوشع بن نون من بعده ، وليس شيء من ذلك في التوراة ، بل من وضع حاخاميهم[١].

٣ ـ النذر والذبح :

فينذرون ويذبحون للإله الذي شوهوا معالم التنزيه فيه، ولهم سفر اللاويين الخاص بالذبائح وأنواع المذبوحات وطرق الذبح وأهل الذباحة وهم لابد وأن يكونوا من نسل لاوي وهو أحد أبناء يعقوب وجد موسى عليهما السلام لذا فقد سمي السفر بهم وهم القائمون على أمر الذبح والذبائح[٢].

فجاء في أسفارهم المحرفة ما نصه: «من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك»[٣] ولكنهم شددوا فشدد الله تعالى عليهم في هذا وغيره : فشددوا على أنفسهم في باب الذبائح ـ وغيرها مما ليس له أصل عن موسى عليه السلام ولا هو في التوراة وإنما هو من وضع الحاخاميم وآرائهم، فوقعوا في شرك العبادة وشرك التشريع. قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) ﴾ [الشورى: ٢١].

٤ ـ موقفهم من أوامر الله تعالى ورسله:

إن اتباع أوامر الله تعالى ورسله يدل على الخضوع الحق للخالق والتسليم له قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾ [النور: ٥١].

---

(١) إغاثة اللهفان : لابن القيم : ٢ / ٣٢٧ .

(٢) مقارنة الأديان ـ اليهودية ـ لأحمد شلبي : ٢٤٢ .

(٣) سفر الخروج : إصحاح ٢٢ ـ فقرة ٢٠ .

فبنو إسرائيل لم يعهد منهم طاعة وتسليم لحكم الله تعالى ورسله . بل ما اعتادوه مع الله تعالى ورسله عليهم السلام هو الكفر والعناد والحيلة والسخرية بأحكام الله تعالى ورسله والبعد عن العبودية الحقة لله تعالى والانسلاخ منها بالكلية . والأمثلة كثيرة من واقع حياتهم منها:

أ ـ موقفهم من تحريم صيد الحيتان يوم السبت :

فإن الله تعالى قد حرم عليهم الصيد يوم السبت، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤)** ﴾ [النّساء: ١٥٤]، وَقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٤٧)** ﴾ [النساء:٤٧].

وزاد أمر الابتلاء لهم أن جعل الله تعالى الحيتان تكثر وتطفوا على الماء يوم السبت الذي قد نهوا عن الصيد فيه، فقال تعالى: ﴿ **إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ** ﴾ [الأعراف : ١٦٣] (أي نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده وإخفائها في اليوم الحلال لهم صيده) [١]. ولحرصهم على الحياة، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ** ﴾ [البقرة: ٩٦]، تحايلوا على حكم الله تعالى بأن وضعوا للحيتان الشصوص ـ الشباك ـ والحبائل والبرك قبل يوم السبت، فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت بتلك الحبائل فلم تخلص منها، فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت[٢]. فلما فعلوا ذلك عاقبهم الله تعالى على انتهاك أوامره بالحيل والخبث والمكيدة ، بأن مسخهم قردة . والعياذ بالله تعالى .قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً**

---

(١) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير مجلد ٢ / ٢٥٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : مجلد ٢ .

خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) ﴾ [البقرة :٦٥ ـ ٦٦].

ب ـ موقفهم من الأمر بذبح البقرة :

وهي قصة مشهورة حيث تحكي أن رجلا من بني إسرائيل قد قتله ابن أخيه الذي أراد إرثه، ووضعه ليلا على باب رجل من القوم. فلما أصبحوا وشاع الخبر اختلفوا في معرفة القاتل، فذهبوا إلى موسى عليه السلام ليساعدهم على معرفة القاتل، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بأن يذبحوا بقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) ﴾ [البقرة: ٦٧]، فلم يذعنوا لأمر الله تعالى بذبح أي بقرة بل شددوا فشدد الله تعالى عليهم، فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبًا [١]، فتلكأوا في الامتثال وتحايلوا عليه بأن سألوا موسى عليه السلام عن صفات تلك البقرة وكنهها ولونها وعملها فعينت لهم وبحثوا عنها وظنوا أن بتحايلهم هذا يسقط عنهم أمر الله تعالى لهم لما جبلوا عليه من العناد والتكذيب.

ولكنهم وجدوها فضرب القتيل ببعض البقرة فقام فسألوه عمن قتله فقال: هذا ـ لابن أخيه ـ ثم مات ثانية، وكان من المنتظر من تلك الأمة الغضبية بعد ما رأوا هذه الآية البينة أمام أعينهم أن يكونوا أكثر التزاما بشريعة الله تعالى وأشد امتثالا لأوامر الله تعالى ورسله ولكنهم قساة القلوب وغلاظ الرقاب مليئة قلوبهم بحب العاجلة والحرص عليها فلم يبق فيها حظ لحب الله تعالى ورسله وما جاءوا به من الحق. قال تعالى بعدما أخبر عن هذه الآية العظيمة : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ

---

(١) المصدر نفسه : مجلد ١ ـ ١٠٨ .

ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون (٧٣) ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون(٧٤) ﴾ [البقرة : ٧٣- ٧٤].

جـ- موقفهم من التوراة :

لما أنزل الله عز وجل عليهم التوراة وأمرهم باتباعها لم يقبلوها ولم يذعنوا لكلام الله تعالى ولأوامره ونواهيه بل رفضوها بالكلية ابتداء . ثم أخذوها مكرهين عليها بعد أن امتحنهم الله تعالى برفع الجبل فوقهم تخويفا لهم بأن يوقعه عليهم إن لم يأخذوا بشريعة الله تعالى ويمتثلوا أمره وأمر رسله، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (١٧١) ﴾ [الأعراف : ١٧١].

ورغم هذه الآية المخوفة لهم والتي هي كافية بأن تجعلهم يذعنون لأمر الله تعالى في التَّوِّ فإنه ما إن استقر الجبل مكانه ثانية حتى تولوا وأعرضوا عما في كتاب ربهم من البينات والهدى ونبذوه وراء ظهورهم . قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (٦٣) ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين (٦٤) ﴾ [البقرة : ٦٣ ، ٦٤].

د- موقفهم من الأمر بدخول الأرض المقدسة :

وهو ما يدل على عصيانهم أمر الله تعالى وأمر رسوله جهارا دون خوف أو تردد . فقد أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة التي كتبها الله تعالى لهم وبشرهم بأنهم منصورون ومفتوح لهم تلك القرية، فقال تعالى مخبرا عن قول

موسى عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) ﴾ [المائدة : ٢١].

ولكنهم ـ كدأبهم مع الأنبياء ـ لم يمتثلوا أمر رسولهم بل قابلوه بأقبح المقابلة وأظهروا له عصيانهم جهارا، واعتذروا بعذر هو أقبح من الذنب نفسه، ثم سخروا منه ومن ربه عز وجل ـ قاتلهم الله تعالى ـ قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ(٢٢) ﴾ [المائدة : ٢٢].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ تعليقا على رد فعل اليهود لقول نبيهم: (فقابلوه أقبح مقابلة، فعارضوا أمر الله تعالى بقولهم : ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ فلم يوقروا رسول الله وكليمه حتى نادوه باسمه ولم يقولوا: يانبي الله وقالوا: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ ونسوا قدرة جبار السماوات والأرض الذي يذل الجبابرة لأهل طاعته وكان خَوفُهُم من أولئك الجبارين ـ الذين هُم نواصيهم بيد الله ـ أعظم من خوفهم من الجبار الأعلى سبحانه فكانوا أشد رهبة في صدورهم منه. ثم صرحوا بالمعصية والامتناع من الطاعة فقالوا: ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾ فأكدوا معصيتهم بأنواع من التأكيد .

أحدها : تمهيد عذر العصيان بقولهم : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾.

الثاني : تصريحهم بأنهم غير مطيعين وصدروا الجملة بحرف التأكيد وهو (إن) ثم حققوا النفي بأداة (لن) الدالة على نفي المستقبل أي لا ندخلها الآن ولا في المستقبل) [١] اهـ.

وأما سخريتهم واستهزاؤهم بالله تعالى وبرسوله فهو كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) ﴾ [المائدة: ٢٤].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم : ٢/٣١٢ ـ ٣١٣ .

فاستحقوا عذاب الله تعالى لهم بالتِّيه أربعين سنة، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾

[المائدة: ٢٦].

أما الأمة المحمدية التي استحقت أن تكون خير أمة أخرجت للناس فقد باعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى، وجاهدوا في الله حق جهاده، فرضي الله تعانى عنهم ورضوا عنه فقدموا أنفسهم إلى رسول الله ﷺ بالامتثال الكامل لما يأمرهم به، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد شَهِدتُ من المقداد بن الأسود[١]، مشهداً، لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به، أن النبي ﷺ وهو يعو على المشركين فقال: «لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربُّك فقاتلا إن ههنا قَاعِدون، ولكنَّا نُقَاتل عن يمينك وشمالك ومن بين يديك ومن خلفك، فرأيتُ رسول الله ﷺ أَشْرَقَ وجهه لذلك وسُرَّ به. أي من قوله»[٢].

فتلك الأمة المغضوب عليها لم تك أمة خالصة في عبوديتها لله عز وجل في فترة من فترات حياتها، ولا مع أنبيائها سوى فئة قليلة تمسكوا بالإسلام الذي جاء به موسى ومن بعده من الأنبياء عليهم السلام. رغم ما أوتوا من الفضل، والنعم، والعفو من الله مرارا على ما أجرموه، ورغم ما رأوا من الآيات البينات والدلائل الساطعة، وصدق الله تعالى إذ يقول فيهم: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦)﴾

[آل عمران: ٨٦].

---

(١) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني ثم الكندي ثم الزهري، حالف أبو كندة، وتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فنسب إليه، صحابي مشهور، من السابقين، لم يكن ببدر فارسا غيره، مات سنة ٣٣هـ. تقريب التهذيب: ٢ / ٢٧٢.

(٢) بخاري: ك، المغازي ـ ب: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

المبحث الثاني
العبادات عند النصارى

النصارى في سطور:

هؤلاء هم الضالون، الذين ركبوا المستحيلات، ونسبوا إلى الله تعالى السخافات، وقالوا في نبيهم المتناقضات، وجمعوا في كتابهم بين التبديل والتحريفات، ونصبوا رهبانهم وعلماءهم أربابًا في وضع التشريعات، ومنحوهم العصمة وهالة من القدسيات، حتى أصبح لهم الحق في غفران السيئات والحرمان من دخول ملكوت السماوات، وأسقطوا الحدود والتعزيرات، ولم يوجبوا شيئًا من العبادات ، فعملوا ما شاءوا فقد فدا المسيح المخلوقات ! .

أساس دين النصارى قائم على شتم الذات الإلهية [١] :

إن الأساس الذي عليه دين النصارى هو مَسَبَّة الله تعالى مسبة لم يسبه بها أحد من البشر سواهم، فهم لا يتورعون ولا يقدرون الله تعالى حق قدره إذ قالوا: إن رب السماوات والأرض نزل عن كرسي عظمته وعرشه ودخل في بطن امرأة تأكل وتشرب وتتغوط وتحيض، فالتحم ببطنها وأقام هناك تسعة أشهر ثم خرج من فرجها يبكي وألقمته أمه ثديها ثم كبر، وآلَ أمره إلى لطم اليهود خديه وصفعهم قفاه وبصقهم في وجهه، ووضعهم تاجًا من الشوك على رأسه استخفافا به وانتهاكا لحرمته ثم قربوه إلى صليب من الخشب فشدوه عليه وربطوه بالحبال وسمروا يديه ورجليه وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصَّلب. هذا وهو الذي خلق السماوات والأرض وقَسَّم الأرزاق والآجال، ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعداءه من نفسه لينالوا منه ما نالوا فيستحقوا بذلك

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم : ١٣٩ .

العذاب والسجن في الجحيم ويفدي أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن إبليس، فإن روح آدم و إبراهيم ونوح وسائر الأنبياء ـ عندهم ـ كانت في سجن إبليس في النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه!!.

وقالوا في مريم وابنها بهتانًا، حيث زعموا أن مريم أم المسيح ابن الله في الحقيقة، ولا أب لابنها إلا الله ، ولا ولد له سواه وأن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه الوحيد من سائر النساء، وإنها جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها، وابنها عن يمينه، والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر ومغفرة الذنوب(١).

هذه هي الأمة الضالة المُضلَّة، التي هي أضل من البهائم فى اعتقادها في الله تعالى ونسبة تلك النجاسات والسخافات إليه سبحانه ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا ـ وافتراؤهم على الذات الإلهية بأن له ولداً، قائم على حجة هي أعظم من الذنب نفسه، ذكرها ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ حكاية عنهم ، وهي أن الله أنجب ولداً بحجة أن من لم يكن والداً يكون عقيماً، والعقم آفة وعيب، والخلفة كمال، فلابد أن يكون الله متصفًا بها(٢) ـ قاتلهم الله تعالى ـ .

وهذا قياس فاسد ـ إذ ليس كل عيب وآفة في حياة البشر يكون الله تعالى متصفًا بضدها وإلا لزمهم على قولهم الفاسد بأن يكون الله تعالى متصفًا بالقدرة على التبول والتبرز والجماع؛ إذ أن عدم القدرة على ذلك عيب وآفة، وهذا لا يقول به عاقل! ولكن الضابط في هذا هو الإيمان بصفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسله دون تدخل من البشر. فقد كادت السماوات والأرض والجبال (٣) أن تتصدع لسماعهن هذا الإد المفترى والكفر البواح، وهذه السُّبَّة لله

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم : ١٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ١٤٠ .

(٣) سبق الحديث عن رد فعل هذه الكائنات من قول النصارى: (إن المسيح ابن الله).

عز وجل . فقد قال تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) ﴾ [مريم : ٩٠ - ٩٣].

وفى الحديث الصحيح . قال عليه الصلاة والسلام عن ربه جل وعلا : **«شَتَمَنِي ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وكَذَّبَني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، أما شَتْمُهُ إيَّاي فقوله اتخذَ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون من إعادته»** (١) .

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : « فلو أتى الموحدون بكل ذنب وفعلوا كل قبيح وارتكبوا كل معصية ما بلغت مثقال ذرة في جنب هذا الكفر العظيم برب العالمين ومسبته هذا السب، وقول العظائم فيه، فما ظن هذه الطائفة برب العالمين أن يفعله بهم إذا لقوه »(٢) اهـ؟! .

العبادات والتشريعات:

تعتبر العبادات والتشريعات التي عليها النصارى الآن هي - بجملتها - من صنع الرهبان وعلماء النصرانية، والله عز وجل كما تبرأ منهم ومن اعتقادهم فيه .

تبرأ أيضًا من عباداتهم وتشريعاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان . فقد وضعوا لأنفسهم الدين الذي يوافق أهواءهم وأمزجتهم فَضَلُّوا وأَضَلُّوا، وهذه العبادات والتشريعات التي لدى النصارى لا تحقق ألبته عبودية العبد لخالقه عز وجل، ولا تليق بألوهية الخالق جل وعلا، وسوف نجد ذلك واضحًا بمشيئة الله تعالى . فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) بخاري : ك ، بدء الخلق - ب : وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وكتاب : التفسير - ب : سورة البقرة قوله تعالى : [وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه] .

(٢) هداية الحيارى لابن القيم : ١٤٠ .

أولاً - العبادات :

تعتبر أهم تلك العبادات لديهم الصلاة والصوم، مع وجود عبادات أخرى سنوردها، إلا أنها ليست ملزمة بمعنى أنها غير واجبة بل هي من المباحات وقد ترتقي إلى المستحبات. يقول د.أحمد شلبي : « يرى كثير من النصارى أن الانتظام في الصوم والصلاة توجيه اختياري لا إجباري »(١). اهـ ، وبصفة عامة فإن كل تلك العبادات - بصورتها الموجودة عند النصارى - لم يفعلها عيسى عليه السلام ولم يأمر بفعلها إنما هي من وضع علماء النصارى، وتفقد في جملتها الصلة بين العبد وربه، ويظهر من خلال الآتي :

١ . الصلاة :

أمر الله عز وجل - كما جاء في القرآن الكريم - عيسى عليه السلام بالصلاة والزكاة فقال : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[مريم : ٣١]. وجاء في إنجيلهم المحرف ما نصه : « ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفى زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق عليك بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية »(٢).

فلا شك بأن الصلاة التي أمر الله تعالى بها عيسى عليه السلام، قد بين له كيفيتها وأركانها. والذي نجزم به هو أن الصلاة التي كان يصليها عيسى عليه السلام ليست بالكيفية التي يؤديها النصارى، حيث فيها من المخالفات والشرك ما لا يرضى به موحد لله تعالى، فالصلاة كما ينقلها عنهم الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -(٣) وفيها :

---

(١) مقارنة الأديان : المسيحية - لأحمد شلبي : ص٢٣٤ .

(٢) إنجيل متى إصحا : ٦ - فقرة ٥، ٦ .

(٣) هذا ملخص ما ذكره في : إغاثة اللهفان : ٢٨٥/٢ - ٢٩٥ ، هداية الحيارى : ١٤١ .

(أ) الصلاة إلى الصور والتماثيل والسجود لها. فلاتخلو كنيسة من كنائسهم من صور المسيح وأمه ، والحواريين وغيرهم من القديسين عندهم ، ويدعون أصحاب تلك الصور من دون الله تعالى.

(ب) لا يشترطون فيها الطهارة ولا يوجبونها كما يذهب بذلك طوائف منهم - وهم الروم وغيرهم - حيث لايرون الاستنجاء بالماء، بل يقولون بأن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة لأنها حينئذ أبعد من صلاة اليهود والمسلمين وأقرب إلى مخالفة الأمتين.

(ج) يتجهون بصلاتهم نحو مشرق الشمس، وما صلّى المسيحُ إلى المشرق قط إلى أن رفعه الله تعالى إليه إلا إلى بيت المقدس، قِبْلَة داود والأنبياء قبله، وقِبْلَة بني إسرائيل .

(د) التصليب على الوجه، وهو مخالف لما في كتابهم المقدس من العهد القديم وفيه : ملعون من تعلق بالصليب، ولكنهم جعلوا شعار دينهم ما يعلنون به!! ولو كان لهم أدنى عقل لكان الأولى أن يحرقوا الصليب حيث وجدوه ويكسروه فإنه قد صلب عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم وأهين عليه، فبأي وجه - بعد هذا - يستحق هذا الصليب التعظيم لولا أن القوم أضل من الأنعام.

(هـ) يقرأ القِسُّ أو البابا نصوصًا من الإنجيل - المحرف - باللغة اللاتينية أو القبطية بطريقة غنائية قد لحنها لهم الذين يتقدمون ويُصلُّون بهم يجري مجرى النوح والأغاني .

(و) [1] وعدد الصلوات سبع في اليوم والليلة، وهي: صلاة البكور، وصلاة الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة ومنتصف الليل.

(ز) ليس لها ترتيب خاص وإنما هي أدعية تختلف من مكان إلى مكان.

---

(١) هذه الإضافات من كتاب مقارنة الأديان ، المسيحية ، للدكتور أحمد شلبي: ص٢٣٤ - ٢٣٦ .

(ح) غاية ما يلزم أن تحويه هذه الصلاة أن تكون على نسق الصلاة الربانية التي قدمها لهم المسيح ـ بزعمهم ـ وهي: «أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين»(١).

هذا وإن كان النص يوحي بتمجيد الله عز وجل وتعظيمه، ولكن النصارى يتوجهون بتلك الصلاة إلى الإله الذي هو الأب والإبن والروح القدس. والذي هو غاية الشرك بالله تعالى والكفر به .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ ختاما عن تلك الصلاة : «فصلاة مفتاحها النجاسة وتحريمها التصليب على الوجه وقبلتها الشرق وشعارها الشرك، كيف يخفى على العاقل أنها لاتأتي بها شريعة من الشرائع ألبته ؟!»(٢).

٢ ـ الصوم :

أما الصوم فقد جاء ذكره في إنجيل مَتَّى وفيه حث على الصوم وعدم الرياء فيه، وهذا نصه: «ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. أما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكي لاتظهر للناس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء فأبوك يرى في الخفاء يجازيك علانية»(٣).

ونحن لا نشك في أن عيسى عليه السلام كان يتعبد بالصوم قربة إلى الله عز وجل وأمر به قومه وذلك من قبل الله عز وجل، وهو ما يظهر من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾

---

(١) إنجيل متى : إصحاح ٦ ـ فقرة ٩ ـ ١٣ .

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم : ٢ / ٢٩٧ .

(٣) إنجيل متى إصحاح ٦ فقرة ١٦ ـ ١٨ .

[البقرة:١٨٣] . والذين كتب عليهم الصوم قبلنا يشمل عيسى عليه السلام وقومه . ولكن هل الصوم الذي يؤديه النصارى هو ما شرعه لهم الله تعالى ورسوله عيسى عليه السلام ؟ هذا ما سوف نجيب عنه من خلال الكلام عن صوم النصارى .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ عن صومهم : « ويصومون صوما لم يشرعه المسيح لهم كصيام صوم العذارى ، ولهم صيام للحواريين، وصيام لماري ـ مريم ـ وصيام لماري جرجس وصيام للميلاد ، كما يأكلون في الصوم أشياء ويحرمون على أنفسهم أكل أشياء ، فيتركون أكل اللحم في صيامهم . وهذا مما أدخلوه في دين المسيح » (١) اهـ .

ويذكر الدكتور أحمد شلبي أن صيامهم ـ وكذلك الصلاة ـ غير متفق على تحديده ، فالصوم عندهم هو الإمتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ثم تناول طعام خال من الدسم ، ويشمل الصوم عندهم صيام يوم الأربعاء وهو يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على عيسى، ويوم الجمعة؛ لأن المسيح صُلبَ فيه . وهذا مما يدل دلالة واضحة على وضعية هذه العبادات إذ يصومون أيامًا لم يشرعها لهم عيسى عليه السلام، ولكن من وضع علمائهم . كما يصومون صوم الميلاد، وعدد أيامه ثلاثة وأربعون يومًا تنتهى بعيد الميلاد، والصوم المقدس، وعدد أيامه خمسة وخمسون يومًا هي عبارة عن الأربعين يومًا التي صامها المسيح مضافًا إليها أسبوعان(٢)، أسبوع قبل الأربعين يومًا وأسبوع بعدها، ويمتنع فيه عن أكل كل حيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ويقتصر على أكل البقول، ولا يعقد في أثنائه سر الزواج، وعندهم صوم الرسل، وصوم العذراء(٣)، فابتدعوا في صيامهم ـ وفى دينهم ـ الكثير بل هو مختلق على يد القساوسة

---

(١) هداية الحيارى ، ص١٤١ ، إغاثة اللهفان : ٢ / ٢٨٧ .

(٢) لعل هذه الأيام التي أضافوها هي عوضا وكفارة عما فعلوه من نقل الصوم إلى شهر الاعتدال، كما سيأتي من كلام ابن القيم بعد قليل .

(٣) مقارنة الأديان ـ المسيحية ـ لأحمد شلبي : ٢٣٤ ـ ٢٣٦ .

والرهبان. يذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالى في بعض الأشياء التي أحدثوها في الصوم منها: أنهم زادوا صيام سبعة أيام في بدء الصوم الكبير، يصومونها لهرقل مخلص بيت المقدس حيث أخلف عهداً أعطاه لليهود لصالح النصارى، فهم يصومون لهرقل الملك طلبا للمغفرة له لنقضه العهد ، كما أنهم لما ثقل عليهم الصيام في فصل الصيف أرادوا نقل الصوم إلى فصل الربيع المعتدل وتغيير شريعة المسيح فزادوا فيه عشرة أيام عوضاً وكفارة لنقضهم له وما ابتدعوه فيه[١].

ويفعلون ذلك ـ من الزيادة والتبديل والابتداع في دين الله تعالى ـ بغير سند من الله تعالى أو من عند رسوله ، بل اتِّبَاعاً لأهوائهم وأمزجتهم .

٣ ـ الدعاء :

فإنهم يدعون غير الله تعالى ويسألون غيره، يقولون في دعائهم مستغيثين بمريم: (يا والدة الإله اشفعي لنا)[٢] !!.

كفرٌ بالله عز وجل وشِركٌ به جَعْلُ المسيح وأمه إلهين من دون الله ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ .

٤ ـ الصدقة:

قد سبق إيراد قوله تعالى مخبرا عما قاله عيسى عليه السلام : ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم : ٣١].

وفيه دلالة على وجود الزكاة في شريعة عيسى عليه السلام، أما كيفيتها وأنصبتها، فلم يرد ذكره في القرآن ولا في السنة، وجاء نص في الإنجيل ـ المحرف ـ يحث على التصدق وإعطائها في الخفاء، وفيه : «احترزوا من أن تضعوا صدقاتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات .. إلى

---

(١) إغاثة اللهفان ـ لابن القيم : ٢ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤ .

(٢) نقلا عن ابن القيم ـ هداية الحيارى : ١٤٠ .

... وإما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية» [١].

ولكن ما يعتقده النصارى هو التثليث المحض في ذلك الإله الذي في السماوات فهو الأب والإبن والروح القدس وليس هو الإله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، حتى تقبل صدقاتهم. ويتحقق بها عبوديتهم لله تعالى.

٥ ـ أعيادهم :

ومن أعيادهم المختلفة والمبتدعة عيد الصليب ، فإن ظهور الصليب كان بعد المسيح بزمن بعيد ، فعجبا ممن جاء في كتابه المقدس أن من اتخذ صليبا يكون ملعونا ، إضافة إلى أن إلهه قد قتل عليه ـ كما زعموا زورا ـ ثم يفرح لذلك الصليب ويُنشِئُ له عيداً . يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : «ولو أنهم فعلوا كما فعل أشباههم من الرافضة [٢] حيث اتخذوا وقت قتل الحسين رضي الله عنه مأتمًا وحزنا لكان أقرب إلى العقول» [٣] !

ومن الأعياد التي ابتدعوها عيد ميكائيل [٤] وهو ـ وغيره ـ مما ليس من دين المسيح في شيء ، وتصرف العباد عن عبوديتهم الحقَّة لخالقهم جل وعلا .

---

(١) إنجيل متى ـ إصحاح ٦ ـ فقرة ١ ـ ٤ .

(٢) الرافضة : هي إحدى أصناف الشيعة الضالة. سموا بالرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر. مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبى طالب، وأن الصحابة قد ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، أبطلوا الاجتهاد في الأحكام، وقالوا بان عليًا رضوان الله تعالى عنه كان مصيبا في كل أحواله ولم يخطىء في شيء من أمور الدين ، فرقهم عديدة. مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري: ص١٦ ـ ٦١ .

(٣) إغاثة اللهفان : ٢ / ٢٩٥ .

(٤) لمزيد من المعلومات ، راجع : المصدر السابق ٢ / ٢٩٤ .

٦ ـ العشاء الرباني :

يعتبر هذا العشاء الذي يقيمونه في بعض أعيادهم من أهم عباداتهم المقدسة، فتعمل الكنيسة على إعداد خبز وخمر بطقوس خاصة ليتناولها المصلون، فيعتقدون بأن الخبز والخمر قد أصبحا بعد إعدادها على هذه الصورة أجزاء من جسد ودم المسيح. فالخبز قطعة من جسده، والخمر قطرات من دمه، وبذلك يمتزج لحم المسيح ودمه بلحم ودم من يتناوله، يتذكر المصلون المسيح وما فعله فداء لتخليص البشرية من خطاياهم التي علقت بهم منذ الأزل، أي منذ خطيئة آدم التي توارثها جيل بعد جيل، وقد جاء وصف هذا العشاء في إنجيل متى وفيه: «وفيما هم يأكلون أخذ المسيح الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»(١).

فعجباً لتلك العقول التي أطبق عليها الجنون والغفلة والحماقة فأي رسولٍ من عند الله تعالى أو أي إلهٍ ـ على زعمهم ـ يحل لقومه شرب الخمر وهي محرمة بنص كتابهم في العهد القديم رغم تحريفه ؟! فقد جاء فيه ما نصه : «لا تشرب الخمر ولا المسكر، كذا ولا أبناؤكم معكم، لا في الهيكل بين حشد المصلين أبداً حتى الموت»(٢).

وكيف يتخيل من به عُشْر عقل، وليس عقلا كاملا، أن قطعة خبز هي قطعة من جسد المسيح، وأن بعضا من الخمر هو بعض من دم المسيح ؟! إلا أن القوم قد صاروا والبهائم سواء ببعدهم عن تحقيق عبوديتهم الحقة لله عز وجل.

ومن المضحك من أمرهم: أن الكنائس الغربية تجيز استعمال الفطائر عوضا عن الخبز في الوقت الذي لاتجيزه الكنائس الشرقية، وتحافظ على حرفية النص السابق! في إنجيل مَتَّى فتستوجب استخدام الخبز(٣) !!

---

(١) إنجيل متى / إصحاح ٢٦ ـ فقرة ٢٦ ـ ٢٨ .

(٢) سفر اللاويين / إصحاح ١٠ ـ فقرة ٩ ـ كما وردت نصوص أخرى في تحريم الخمر منها : سفر صموئيل١ / ١٤ ، سفر أشعيا / ٥ ـ ٢٢، الأمثال : ٢٠ ـ ١ ، ٣١ ـ ٤، ٥ .

(٣) الأسفار المقدسة . علي عبد الواحد : ١٢١ . مقارنة الأديان ـ المسيحية ـ أحمد شلبي : ٢٥٣ .

٧ ـ صكوك الغفران :

لدى النصارى مهزلة لا تقل جُرمًا وزورًا عما قالوه في الله تعالى وسبوه به وهي أنهم جعلوا المسيح فداء الخطيئة، وذلك بصلبه، فتحمل ذنوب الأولين والآخرين إلى قيام الساعة، وعليه فإن من يعمل ـ من النصارى ـ سوءًا ولو من الكبائر فلا شيء عليه، وفوضوا أمر محو هذه الكبيرة والإشفاق على العاصي بندمه والتخفيف عليه إلى القساوسة والرهبان في غفران الذنوب، فيخرج القسيس للعاصي صكا بغفران ذنبه مقابل دراهم يدفعها العاصي للقسيس، نص الصك كالتالي: « ربنا يسوع المسيح يرحمك يا ...(يكتب اسم العاصي) ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القدسية، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام الطائلات الكنيسية التي استوجبتها. وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة .. إلى .. باسم الآب والابن والروح القدس »[1].

إن ما يفعله بعض النصارى من كرسي الاعتراف والتوبة من الذنب على يد القسيس وصك الغفران المعطى للمذنب مقابل المال، من القبح العظيم والشرك بالله تعالى فإنَّ التوبة لا تكون إلا لمن يملك المغفرة واسمه (الغفور) فمن يملك محو الذنب الذي يقع فيه رجال الدين إذًا؟! والجواب عن هذا أنهم فوق المعاصي، وأنهم معصومون كما زعمت النصارى ذلك لهم؛ ولذا فقد رفعوا العبء عن النصارى كلهم من الحدود والتعزيرات واكتفوا بالتوبة على أيديهم. يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : « وليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر، حد في الدنيا أبدا ولاعذاب في الآخرة. لأن القسَّ يغفر لهم، فكلما أذنب أحدُهم ذنبًا أهدى للقسِّ هدية أو أعطاه درهما أو غيره ليغفر له به!! وإذا زنت

---

(١) منقول من كتاب (الأسفار المقدسة ـ علي عبد الواحد : ١٢٣) ومن (مقارنة الأديان ـ المسيحية ـ لأحمد شلبي : ٢٥٤).

امرأة أحدهم بَيَّتَهَا عند القس ليطيبها له[١]، فإذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها قَبلَ ذلك منها وَتَبَرَّكَ به!! »[٢] اهـ.

بُعدٌ صريح عن العبودية الحقة التي شرعها الله تعالى لعباده، ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام، ما وقع فيه بعض المسلمين بسبب المبتدعة من الصوفية مثل ما وقع فيه النصارى من طلب غفران الذنب على يد شيخ أو ما يسمونه هم (وليّ) فيقول العاصي: طهرني من ذنبي، أو حللني، أو ما شابه ذلك اتباعا لضلال النصارى، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا في جُحر ضَبٍّ لاتبعتموهم**» قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»[٣].

وهذا مما يؤسف أنه قد انتشر هذا في بعض البلاد التي يكثر فيها الجهل والبدع والخرافات، ولعل ضياع حكم الإسلام وحدوده بين المسلمين أحد الأسباب التي أدت إلى ذلك. وهو من الكفر الصريح الذي حاربه الإسلام.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «ومن أنواع الشرك: التوبة للشيخ، فإنها شرك عظيم؛ فإن التوبة لا تكون إلا لله كالصلاة والصيام والحج والنسك، فهي حقٌّ خالص لله تعالى، وفى المسند: أن رسول الله ﷺ أتى بأسير فقال: اللهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال رسول الله ﷺ: «**عرف الحق لأهله**»[٤] اهـ[٥].

فالحمد لله على نعمة الإسلام، فقد جعل الله تعالى التوبة خالصة له سبحانه

---

(١) أشار الدكتور أحمد شلبي إلى الفضائح التي تحدث باسم الدين ويندى لها الجبين ووقع فيها بعض رجال الدين بالاعتداء ومحاولة العدوان على المعترفات بالذنب. (مقارنة الأديان ـ المسيحية: ٢٥٥).

(٢) هداية الحيارى ـ لابن القيم: ١٤٢.

(٣) البخاري: ك، الأنبياء، ب: ماذكر عن نبي إسرائيل.

(٤) مسند أحمد: ٣ / ٤٣٥.

(٥) مدارج السالكين لابن القيم: ٣ / ٣٤٥.

بينه وبين عبده ولم يجعل هذا الحق لأوليائه ولا لأنبيائه، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤)﴾ [الزمر: ٥٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨]، فلا يملك حق مغفرة الذنوب والكبائر إلا هو سبحانه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٨ـ الولاء والبراء:

أما عن نظرة النصارى إلى الولاء والبراء، والحب في الله تعالى والبغض فيه، والذي هو من أوثق عرى الإيمان، ففيه شطط كبير وخروج عن الجادة ـ كبقية معتقداتهم ـ فتدعوهم أناجيلهم المحرفة إلى حب الأعداء والمخالفين قبل محبة الأصدقاء والمحبين، فجمعوا بين المتناقضين؛ فجاء الانجيل ـ المحرف ـ: «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم»(١).

هذه التعاليم تحتمل أمرين. الأول: عداوة في الدين، وهذا مما لا ينبغي التساهل فيه فمن عادى مؤمنا لإيمانه وجبت معاداته لأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

الثاني: عداوة شخصية، فهذا مما يخير المرء فيه بين المجازاة بالمثل وبين العفو والصفح، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦)﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران: ١٣٤].

---

(١) إنجيل متى / إصحاح ٥ ـ فقرة ٤٣ ـ ٤٤.

وواقع النصارى يدل على أنهم لم يلتزموا بهذا النص في كلتا الحالتين .

وتشهد لهم الحروب الصليبية التي أريقت من أجلها دماء المسلمين . فالنصارى مناقضون لما عليه تعاليمهم ومخالفون لأصل من أصول العبودية الحقة لله عز وجل وهو الولاء والبراء الذي يخبر الله عز وجل عنه من خلال فعل إبراهيم عليه السلام إلى قومه بقوله : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة : ٤] .

فأهل الإيمان يوالون أهل الإيمان ويتبرأون من أهل الشرك ولا يوالوهم ، قال تعالى : ﴿ **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ** ﴾ [آل عمران : ٢٨] . والتحذير من موالاة الكفار عام إلى المسلمين قاطبة بما فيهم النبي ﷺ وإن كان قليلا ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)** ﴾ [الإسراء : ٧٤ - ٧٥] .

وكما يقول د. أحمد شلبي عن هؤلاء النصارى الذين لم يحبوا أعداءهم ألبتة من خلال تاريخهم : « إن المسيحيين في الغالب لم يتبعوا في سلوكهم هذا الاتجاه بل لم يقنعوا بالعدالة التي قالت بها التوراة، وراح أكثرهم يستعمرون ويظلمون »(١) .

ثانيا - التشريعات والحدود :

لا نستطيع بحال أن ننسب شريعة النصارى التي لديهم إلى جملة الشرائع التي أنزلت من عند الله تعالى على رسله لدعوة أقوامهم . ولكنا نستطيع أن ننسبها إلى الرهبان والقساوسة ورجال الدين منهم، وهو ما يؤكده القرآن الكريم

---

(١) مقارنة الأديان ـ المسيحية ـ لأحمد شلبي : ٢٣٢ .

والسُّنَّة النبويَّة ويجزم به كثير من الباحثين في علم مقارنة الأديان، فقد خالفوا جميع التعاليم الموجودة في العهد القديم، رغم إيمانهم بثبوتها، وأحدثوا ديناً جديداً يوافق ويلائم طبيعة الناس الذين يدعونهم إلى النصرانية . وهو كفر صريح بألوهية الله عز وجل إذ الحكم لله تعالى وحده، واستكباراً منهم على مقام العبودية لله تعالى الحقة فنصَّبُوا رهبانهم أرباباً من دون الله تعالى في التشريع. وهذا ما نراه من خلال المراحل التي مرَّ بها التشريعُ النَّصرانيُّ.

مراحل التشريع (١) في النصرانية:

في المرحلة الأولى: لم يأت عيسى عليه السلام بتشريع جديد ولكن كان يقرر ما في التوراة، وكل ما اهتم به عيسى عليه السلام هو الوعظ والوصية والتسامح، واكتفى بما في التوراة من تشريع مع تحليل بعض ما حرم الله تعالى عليهم من قبل عقوبة لهم.

فجاء في إنجيل متَّى ما نصه: «لا تظنوا أني جئتُ لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (٢)، ولكنا سوف نجد بعد قليل خلاف ذلك حيث خالفوا التوراة بأكملها، وهو ما يناقض عبوديتهم لله جلا وعلا.

المرحلة الثانية : من الغريب أن ينتقل التشريع بعد ذلك إلى الرسل، وهم قادة النصرانية، حيث رأوا أن التشريع اليهودي قد شق على الأتباع الجُدُد في اعتناق النصرانية، وكان الختان أهم ما يشق على هؤلاء، فأخذ النصارى يقللون من التكاليف وأباحوا الخمر ولحم الخنزير والربا مع وجود حرمتها في التوراة. وقد استطاعوا أن يضعوا ذلك في أسفار جديدة وألحقوها بأناجيلهم، وغيروا فيها وبدلوا ما اشتهت نفوسهم ونسبوا إليها العصمة والتقديس حتى يلزموا أتباعهم

(١) هذه المراحل مجمل ما كتبه د. أحمد شلبي في كتاب (مقارنة الأديان ـ المسيحية ٢٢٨ ـ ٢٣٤).
(٢) إنجيل متى / إصحاح ٥ ـ فقرة ١٧، ١٨ .

باتباعها دون نقاش. وقد كانت لتلك النصوص المحرمة لما أحلوه في العهد القديم الذي يؤمنون به وجود ثابت لدى أعدائهم من اليهود وهو ما كان حائلا دون تبديلها أو محوها بالكلية حتى لا يكون لها وجود، ولكنهم غيروها بطريقة أخرى على يد بولس، يقول الدكتور أحمد شلبي: «وجاء بولس فلعب دورا كبيرا في التشريع المسيحي فكان تارة يشرح ما روى عن عيسى وتارة يقترح من عنده هو، وكان الختان من أهم ماعنى بولس بإيقافه وطالما صرخ في رسائله بقوله: «ما هو نفع الختان؟» اهـ[١]. وقد وجدت نصوصا في العهد الجديد - في إحدى رسائل بولس - تدل على أنه يجتهد رأيه في كثير من المسائل، منها قوله: «وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب، ولكني أعطي رأيًا كمن رحمه الرب أن يكون أمينًا» [٢]، وقوله: «.. ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي وأظن أني أنا أيضًا عندي روح الله»[٣].

فأعطى لنفسه حق التشريع حيث منح لنفسه العصمة وعدم الزلل لأنه قد أُيِّد بروح الله - كما ادعى - وبالتالي استطاع أن يبدل دين المسيح بالكلية.

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - نقلا عن أحد كتبهم، والتي تثبت التحريف والتبديل في الشرائع والعبادات: «إن قوما من النصارى خرجوا من بيت المقدس وأتو أنطاكية وغيرها من الشام فدعوا الناس إلى دين المسيح الصحيح، فدعوهم إلى العمل بالتوراة وتحريم ذبائح من ليس من أهلها، إلى الختان وإقامة السبت وتحريم الخنزير وتحريم ما حرمته التوراة، فشق ذلك على الأمم واستثقلوه، فاجتمع النصارى ببيت المقدس وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم ليحببوهم إلى دين المسيح، فاتفق رأيهم على إنشاء شريعة تكون بين شريعة الإنجيل وما

---

(١) مقارنة الأديان - المسيحية - أحمد شلبي: ٢٣٢. والنص الذي استدل به د. أحمد شلبي من رسالة أهل رومية / إصحاح ٣ - فقرة ١ وفيه: «إذا ما هو فضل اليهودي أو ماهو نفع الختان».

(٢) رسالة بولس لأهل كورنثوس / إصحاح ٧ - فقرة ٢٥.

(٣) الرسالة السابقة / إصحاح ٧ - فقرة ٤٠.

عليه الأمم » [١] اهـ . فأحلوا وأباحوا جميع ما استثقلته الأمم من الشرائع ، ليكون دينا حسب الأمزجة .

في المرحلة الثالثة - انتقل التشريع فيها إلى الرؤساء الروحانيين من خلال المجامع التي لم تكتف بالتشريع فحسب بل غاصت في زخرفة وتشكيل التثليث (الآب والابن والروح القدس) وأجرت ذلك في مجمع تم التصويت عليه لتقرير العقيدة ! كما تقرر لرجال الدين حق الغفران، وعصمة الباباوات، وحق الحرمان من ملكوتْ السماوات لمن يعارض، مما أدى إلى وجود إنفجار ثوري على تلك المعتقدات وعلى طغيان الكنيسة ومفاسدها، على يد المصلحين الذين ظهروا في القرن السادس عشر الميلادي، وهو ما سوف نتكلم عنه بمشيئة الله تعالى بعد قليل.

نماذج من التشريعات والحدود لدى النصارى:

جاء ذكر القتل والزنا والقصاص في الأناجيل، وتبدو الشريعة النصرانية في حالة سلبية للغاية تجاه مقترفي الكبائر، فلا اتبعت التوراة في إقامة الحد على الجاني، ولا هَذَّبَت تعاليمها نفوس تابعيها في البعد عن الآثام والكبائر، فاكتفت بما ابتدعه علماؤها عقاباً للجاني أن يعترف أمام البابا أو القس بذنبه ويحله منه ويستخرج له صَكًّا بالغفران، فخالفوا شرع الله عز وجل المنزل بالقصاص، وخالفوا العقل كذلك فماذا نفعل فيمن قطع يد ابنك أو رجله بعمد من الجاني ثم اعتدى على ابنتك فزنا بها ؟! ثم اغتصب مالك؟!

فنظرة النصرانية كالتالي :

١ ـ بالنسبة للقصاص :

لا يُؤخَذ من الجاني أو يُقْتَصُّ منه بما فيه صراحة في نهاية المطاف بإلغاء العقوبات والتعزيرات بالكلية. فينص الإنجيل ـ المحرف ـ على : « سمعتم أنه قيل

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم : ١٤٣ .

عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً» (١). أما شريعة الله تعالى الحقة فهي الشريعة التي أوجبت القصاص والأخذ على يد الظالم والمتعدي وإعطاء حقوق الناس حتى ترضَى نفوسهم وتهدأ مما وقع عليها من اعتداء، هذا مع الحث على العفو والمسامحة والصبر، ولقلة وجود هذا الخُلُق الأمثل أوجب الله تعالى القصاص، فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ(١٢٦) ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾ [الشورى: ٤٠].

٢ ـ الزنـا :

لا حد له ولا عقاب والاكتفاء بعهد يؤخذ على الزاني ألا يعود للذنب ثانية. فتروي أسفارهم المحرفة الآتي: «ثم حضر أيضاً إلى الهيكل في الصباح وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم وقدم إليهم الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في الزنا، ولما أقاموها في الوسط قالوا له: يا مُعَلّم هذه المرأة أُمسكت وهي تزني في ذات الفعل، وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم، فماذا تقول أنت؟. قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه، وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم: من كان منكم بلا خطيئة فيرمها أولاً بحجر. ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض، وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط، فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحد سوى تلك المرأة قال لها: يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك، أما دانك أحدٌ؟ فقالت: لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع: ولا أنا أُدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضاً» (٢).

---

(١) إنجيل متى / إصحاح ٥ ـ فقرة ٣٨ ـ ٤١ .

(٢) إنجيل يوحنا / إصحاح ٨ ـ فقرة ٢ ـ ١١ .

إن تعاليم المسيح – كما تبدو في أناجيلهم – تنهى عن القرب من فعل الشر ابتداءً وليس الشر ذاته، فوصلت الشريعة إلى ما هو أبعد عن النهي في فعل الكبائر مثل نهيه عن بغض الأعداء حتى لا يحملك ذلك إلى الوقوع في القتل، وكذلك نهيه ألا تشتهي امرأة حتى لا يقع المرء في الزنا، فقد جاء في أحد أناجيلهم: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء [١]: لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم»[٢].

وقد جاء أيضًا في أحد أناجيلهم: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزنِ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى قلبه»[٣].

وهذه النصوص منها ما يوافق القرآن في مثل قوله تعالى عن الزنا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾ [الإسراء: ٣٢]. فنهى الله تعالى عن مقدمات الزنا، وهو ما عبر عنها بالقرب منها.

والظاهر من نصوص الإنجيل السابقة أنها تدعو إلى تهذيب النفوس في عدم القرب من القتل ولو من بدايته، وهو الغضب، وعدم القرب من الزنا من بدايته بالشهوة إلى المرأة ولكن ماذا نفعل في المجتمعات التي يوجد فيها القتل والسرقة؟ وكل المجتمعات مليئة بهذا؟! فالنصارى لا يوجبون حدًا ويكتفون بتوبة العصاة بألا يعودوا للذنب ثانية.

أما حكم الله تعالى الذي أنزله على رسله في الزانية والزاني ـ مثلاً ـ هو الرجم كما ورد في شريعة موسى عليه السلام في التوراة، وكما ورد في شريعة محمد ﷺ برجم المحصن، وجلد غير المحصن، فالله عز وجل الرءوف الرحيم الذي هم أرحم

---

(١) يعنى بهم اليهود من قبلهم.

(٢) إنجيل متى / إصحاح ٥ ـ فقرة ٢١ ـ ٢٢.

(٣) إنجيل متى / إصحاح ٥ ـ فقرة ٢٧ ـ ٢٨.

بعباده من الأم بولدها، يقول في كتابه العزيز: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** (٢) ﴾ [النور: ٢].

والرجم هو ما حكم به ﷺ لليهود، إيمانًا منه ﷺ واتباعًا لما أُنزِلَ على موسى عليه السلام، حتى بهت اليهود من معرفته بذلك، فقد جاء في الصحيح عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ : «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟!**» فقالوا : نفضحهم ونجلدهم. قال عبد الله بن سلام : كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال عبد الله بن سلام :ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، قالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم. فأمر بهما ﷺ فرجما، فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة (١).

هذا هو شرع الله تعالى الحق الذي يأخذ على يد المفسدين والعصاة ليرتدع المفسدون ويستتب الأمن في المجتمع ، ويُقضَى فيه على الفواحش والموبقات حتى لا تنتشر المعاصي، ولكن النصارى ـ بمعتقداتهم الفاسدة ـ أنشأوا مجتمعًا قائمًا على الدعارة وشرب الخمر وأكل لحم الخنازير وأكل الربا.. إلى غير ذلك مما هو حادث بالفعل الآن في المجتمعات الكافرة الغربية، حيث فشا فيهم الزنا واللواط بشكل واسع جدًا، جعل البابا التابع لهم يدعو إلى الحد من هذه الموجة العارمة(٢)، والتقليل من الممارسات الجنسية تدريجيا حيث انتشرت فيهم الأمراض التي لم تكن في أسلافهم(٣).

---

(١) بخاري / ك : الحدود ـ ب : أحكام أهل الذمة .

(٢) اقرأ جريدة (المسلمون) عدد /٢٣٨ تاريخ ٢٤ محرم ١٤١٠هـ . ولمزيد من فضائحهم ومهازلهم راجع ماكتبوه هم عن أنفسهم في مجلة (التايم) الأمريكية تحت عنوان (أطفال لديهم أطفال) تتحدث عن بنات أعمارهن ١٣ ـ ١٩ سنة حوامل من الزنا وبنسبة عالية. عدد رقم ٤٩ / ٩ ديسمبر ١٩٨٥م .

(٣) منها مرض (الإيدز) وهو مرض القرن العشرين وحديث العصر الذي يؤثر على الأصحاء كذلك . وهو ناتج عن العلاقات الجنسية غير شرعية.

٣ ـ السرقة والغصب :

نجد العجب كذلك حيث تدعوا تعاليهم إلى عدم مقاومة الشر، فمن سرق ثوبك ساعده أكثر على السرقة وأعطه الرداء كذلك، فقد جاء في أحد أناجيلهم: «لا تقاوموا الشر، من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا»[١].

٤ ـ الزواج والطلاق :

رأينا فيما سبق أن النصارى في كثير من معتقداتهم قد خالفوا الشرع والعقل معًا، أما في أمور الزواج والطلاق فقد خالفوا ـ زيادة على ما سبق ـ الفطرة الإنسانية التي فطر الله تعالى الناس عليها، وأوجبوا عليها ما يضاد طبيعتها، وتتلخص نظرة النصارى في الزواج والطلاق فيما يلي:

١ ـ الزواج مكروه ، بل محرم ـ عند بعض فرقهم ـ كما سنرى بعد قليل .

٢ ـ إن كان ولابد من الزواج خوفًا من الإحتراق بسبب الشهوة والوقوع في الزنا، فواحدة فقط، وحرمت النصرانية التعدد بعد أن كان مباحًا عند اليهود[٢]، فجاء في أحد أناجيلهم ـ وصفا للزوجين ـ : «يكون الاثنان جسداً واحداً إذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان» [٣]. وبناءً على ذلك فإنه.

٣ ـ لا يجوز أن يفرق بين الزوجين إلا بسبب وقوع جريمة الزنا من أحد الزوجين. ولا يجوز لهما الزواج ثانية بعد التفرقة بينهما، وبعضُ فِرَقِهم وهي الكاثوليكية لا ترى التفرقة مطلقًا، ولا تعد الخيانة الزوجية مبرراً للطلاق بل يكتفي بالتفرقة الجسمية مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما، كما لا تجيز النصرانية

---

(١) إنجيل متى / إصحاح ٥ ـ فقرة ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) ذكر د. أحمد شلبي أن التعدد كان مباحا في مطلع النصرانية استناداً لما كانت عليه اليهود في شرعهم. (راجع: مقارنة الأديان ـ المسيحية / ص٢٣٥).

(٣) إنجيل مرقس / إصحاح ١٠ ـ فقرة ٨ .

زواج أحد الزوجين إذا توفى الآخر ، فحرموا الطلاق تحريمًا باتًا، فقد جاء في أحد أناجيلهم ما نصه: «فتقدم الفريسيون وسألوه: هل يجوز للرجل أن يطلق امرأته ليجربوه، فأجاب وقال لهم : بماذا أوصاكم موسى ؟ فقالوا: موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلَّقَ، فأجاب يسوع وقال لهم : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية.. من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها وإن طلقت المرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني» (١).

تلك تعاليم النصرانية المحرفة وليست من شرع الله تعالى، والله ورسوله والمؤمنون بريئون من تلك التعاليم التي تخالف الفطرة الانسانية (٢)، ولمزيد من الإيضاح سأورد هنا ملخصًا عما كتبه د. علي عبد الواحد في الزواج والطلاق لدى النصارى(٣): «فيما يتعلق بالزواج وتكوين الأسرة فقد ساد في المسيحية الاعتقاد بأن العزوبة أمثل من الزواج وأن هذه المبادىء مستمدة من روح الأناجيل، فيقول بولس في رسالته لأهل كورنثوس: إذا من زوج فَحَسَنًا يفعل، ومن لا يزوج يفعل ما هو أحسن» (٤).

ويقول: «فحسن للرجل ألا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة زوجها» (٥).

---

(١) إنجيل مرقص / إصحاح ١٠ ـ فقرة ٢ ـ ١٢ .

(٢) تعليق : إن مما يؤسف ـ أن نجد في حاضرنا المعاصر تلك المعتقدات الفاسدة التي لدى النصارى في أمور الزواج والطلاق قد انتقلت برمتها إلى أذهان كثير من المسلمين بل إلى قلوبهم. فأخذوا ينظرون إلى الطلاق بصفة عامة، ولو في حالات توجبه ، أنه حرام، وكذلك إلى التعدد في الزواج جريمة لا تغتفر ويعاقب عليها القانون الوضعي في بعض البلدان المتمسلمة. كما يعدون الزوج الذي يتزوج بعد وفاة زوجته خائنًا، ويقف هذا الرجل حائرا بين شهوته التي فطر عليها، وبين تلك العادات والاعتقادات الفاسدة التي أُجبر عليها، وأولاده يقفون له بالمرصاد حتى ولو فكر ـ فقط ـ في ذلك . وهكذا يتبع المسلمون اليهود والنصارى في أمورهم كلها نسأل الله تعالى العافية والسلامة.

(٣) السطور التالية هي ملخص ما كتبه الدكتور على عبد الواحد في الأسفار المقدسة : ٨٢ ـ ٨٥ .

(٤) رسالة أهل كورنثوس / إصحاح ٧ ـ فقرة ٣٨ .

(٥) رسالة أهل كورنثوس / إصحاح ٧ ـ فقرة ١، ٢ .

ويقول أيضا: «ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا ثبتوا كما أنا ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق»[١].

ويأتي أحد كتاب النصارى فيزيد الطين بلة فيعلق على النصوص السابقة قائلاً: «إن الزواج لمن لم يقو على العفة أفضل من أن يحرق بنار جهنم. ولكن الخير أن يتقي الإنسان الأمرين معا فلا يتزوج ولا يعرض نفسه لعذاب النار وإن كان قصارى ما يحققه الزواج أن يعصم الفرد من الخطيئة على حين أن التبتل يروض المرء على أعمال القديسين ويتيح له أن يأتي بالمعجزات، فجسم المسيح نفسه جاء من بتول عذراء، والقديس يوحنا، والرسول بولس، وجميع إخوانه الحواريين والذين سجلّت أسماؤهم في سفر الخلود آثروا التبتل وحثوا الناس عليه».

بل إن كثيراً من فقهاء النصارى ينظرون إلى هذه الحقائق على أنها من الأمور المسلمة من الدين بالضرورة ومستمدة من روح الأناجيل ومن نصوصها، وقد طردت الكنيسة في أحد المجامع راهبا عارض المبدأ النصراني الذي يقرر أن التبتل خير من الزواج، وقد ذهبت إحدى فرقهم وهم المرقيونية[٢] إلى تحريم الزواج تحريمًا باتًا على جميع أفراد نحلتها وأوجبت على كل متزوج يرغب في اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن يفترق عن زوجه وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده.

هذا وقدأدت نظرة النصارى إلى التبتُّل على أنه الحالة المثلى وإلى الزواج على أنه مجرد ضرورة، أدت هذه النظرة بالتدريج إلى نظام العزوبة المفروض على القسيسين والرهبان في المذهب الكاثوليكي، وغنيّ عن البيان أن هذه المبادىء النصرانية بحَثِّهَا على العزوبة دون الزواج تعمل على انقراض النوع الإنساني

---

(١) رسالة أهل كورنثوس / إصحاح ٧ ـ فرة ٨ ، ٩ .

(٢) وهي فرقة المرقيونيين أتباع مرقيون ، وهو من رجال القرن الثاني الميلادي، وكان قسيسا . يقوم مذهبه على الاعتقاد بإلهين ، أحدهما : الإله العادل، والآخر: الإله الخير وهو المسيح، وأهم ماتختص به هذه النحلة أنها حرمت الزواج تحريما باتا على جميع أفراد نحلتها. راجع : الأسفار المقدسة ـ لعلي عبد الواحد : ١٠٦ .

وتعجل بفناء الكون » اهـ . وهذا هو سر انقراض هذه الفرقة من النصارى .

ويقول د . علي عبد الواحد : « إن الشريعة التي تذكرها هذه الأناجيل تبدو فى كثير من أحكامها مظاهر العنت والحرج والتضييق على الناس وعدم إقامة وزن لضرورات الحياة ولا لشئون المجتمع كأحكامها الخاصة بتحريم الطلاق، وتحريم الزواج على الزوجين إن فُرِّقَ بينهما عقب ارتكاب أحدهما لجريمة الزنا، بل إن بعض أحكامها ليترتب على العمل بها إشاعة الفوضى واضطراب المناخ في المجتمع وانتشار الفسق والفجور كاتجاهها إلى إلغاء حد الزنا وإلغاء العقوبات، بل إن بعض أحكامها ليؤدي إلى انقراض النوع الإنساني ويعجل بفناء الكون من عالمنا الأرضي كنظرتها إلى العزوبة على أنها الوضع الأمثل للرجل والمرأة على النحو الذي سبق بيانه، وشريعة كهذه لايمكن أن تصدر عن عاقل، بل ولا صدورها عن الله الحكيم العليم » (١) اهـ.

فإن شريعة الله الحكيم العليم هي التي تبيح الزواج وتَحثُّ عليه وتوجبُهُ على المسلمين جميعا ـ بما فيهم علماء الشريعة ـ وتبيح الطلاق عند الشقاق وعدم حصول الألفة بين الزوجين، كما تبيح التعدد في الزوجات الذي هو أصل الشرائع كلها ـ إلا شريعة الرهبان ـ وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

إن النصوص السابقة في القصاص والزنا والسرقة والزواج والطلاق ـ وغيرها كثير ـ تدل صراحة على إلغاء العقوبات والتعزيرات بالكلية .وتخالف في الوقت نفسه نصوص التوراة مما جاء به موسى عليه السلام مخالفة صريحة . ونجد في أحد أناجيلهم عن عيسى عليه السلام قوله : « ما جئت لأنقض بل لأكمل » . فيقال لهم هنا : إن كان عيسى عليه السلام ـ كما تزعمون ـ لم يأت لينقض الناموس ـ التوراة ـ ولا الأنبياء

(١) الأسفار المقدسة ـ لعلي عبد الواحد : ٨٩ ـ ٩٠ .

الذين قبله. إنما جاء مكملا ، فماذا تقولون في النصوص التالية لهذا النص ـ من الإنجيل نفسه ـ مباشرة، والتي تدل في جملتها على إلغاء الحدود الموجودة في التوراة ؟! إنه التناقض والتحريف والشرك الذي وقع فيه هؤلاء الضالون. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾

[النساء: ٨٢]

رد الفعل العكسي تجاه مخالفات الكنيسة ورجال الدين:

إن كثرة الضلال والإضلال الذي وصلت إليه النصارى في مخالفتهم التوراة، وابتداعهم في دين الله تعالى مالم ينزل به سلطانا من التبتل للعوام وللقساوسة بصفة خاصة، وصكوك الغفران التي جعلت حق الغفران على يد الرهبان والقساوسة، وإرهاب الكنيسة الذي سيطر على النصارى جميعا، وكذلك المخالفات الجنسية التي ظهرت بين القساوسة والراهبات بالأديرة النصرانية، وتبرير فعله ...، ....، إلى غير ذلك من المخالفات التي يصعب حصرها ، أدى ذلك بمجمله إلى رد فعل عكسي من بين النصارى أنفسهم اعتراضا على تلك المخالفات التي لم يعد العقل السليم يبيح لنفسه قبولها والإذعان لها دون معارضة. فظهرت نحلة جديدة في عالم النصرانية في القرن السادس عشر تدعو إلى الإصلاح الديني، وتعارض بشدة كثيراً من مخالفات رجال الدين خاصة صكوك الغفران ووصفوها بأنها مهزلة. هذه النحْلة هي البروتستانتية ـ أي الاحتجاج ـ وأشهر دعاتها هم : مارثن لوثر(١)، وزنجلي(٢)، وكلفن(٣)، وقد التف حولهم الكثيرون

---

(١) مارتن لوثر : ١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م) راهب ألماني. تزعم حركة الإصلاح البروتستانتي في ألمانيا . (قاموس المورد ـ جزء : معجم الأعلام / ص ٥٦ – حرف L).

(٢) أولريخ زنجلي : مصلح بروتستانتي سويسري، تاثر بتعاليم لوثر . (قاموس المورد ـ جزء : معجم الأعلام /ص ٩٠ حرف Z) .

(٣) كالفن جون : (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م) لاهوتي فرنسي مؤسس المذهب الكالفني. نشر راية الإصلاح البروتستانتي في فرنسا ثم في سويسرا. قاموس المورد ـ جزء : معجم الأعلام/ ص ١٥ ـ حرف C).

ممن كانوا في أشد التَّوق لمن يتكلم عنهم ويعبر عما بداخلهم من حق تجاه رجال الدين النصراني. فانفجروا جميعًا وفرض المذهب نفسه، وأصبح يدين بهذه النحلة غالبية دول أوروبا وأمريكا.

هذه النحلة ـ البروتستانتية ـ لا تختلف عن نحل النصارى الأخرى فيما يتعلق بالتثليث وألوهية المسيح وبنوته وصلبه وفدائه لتكفير خطايا البشر وحسابه العالم. ولكنها تختلف عنهم في أمور فرعية أهمها :

[١] لا تحرم الزواج على رجال الدين كما تحرمه الكاثوليكية على جميع الرهبان والقساوسة بمختلف درجاتهم .

[٢] تنكر بشدة أن يكون لرجال الدين الحق في غفران الذنوب إنما تجعل ذلك الحق لله وحده .

[٣] تحرم أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعبدين ، كما تفعل الكنائس الأخرى إذ تقيمها بلغة ميتة كاللاتينية أو القبطية.

[٤] تعطي الحق لكل نصراني قراءة الكتاب المقدس وتفسيره وليس ذلك محصوراً على رجال الدين.

[٥] لاعلاقة للعشاء الرباني بجسم المسيح ودمه، كما تقول المذاهب الأخرى، إنما هو ذكرى فقط لما حدث للمسيح [١].

فيتضح لنا ثورة البروتستانتية لم تغير شيئا من أصول النصرانية، إنما كانت ثورة على انحرافات الكنيسة ورجال الدين.

يقول د. أحمد شلبي عن حركة لوثر: «كانت الحركة إصلاحا للكنيسة لا إصلاحا للمسيحية، والفرق بين الموضوعين كبير. ومعنى هذا أن ما أثار لوثر

---

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع: (الأسفار المقدسة ـ لعلي عبد الواحد / ص١٢٤ ـ ١٢٦)، (مقارنة الأديان ـ المسيحية ـ لأحمد شلبي / ص٢٥٩ ـ ٢٦٠) ، (محاضرات في النصرانية ـ محمد أبو زهرة: ١٣٨ ـ ١٨٨).

ومعاصريه هو أفعال الكنيسة في ذلك العهد، أما البحث في الأشياء الهامة التي دخلت المسيحية الأصلية فلم يكن موضوع إصلاح عند لوثر ومعاصريه»[١] اهـ.

دين النصارى قائم على قاعدة خالف تعرف:

هذا ما نستنتجه من خلال قراءتنا للأناجيل وكتبهم عموما. فما من شيء كانت عليه اليهود، إلا وقد نقضته النصارى، وفعلت خلافه بحجة أن اليهود ليسوا على الحق، وأنهم ـ أي النصارى ـ على الحق المبين، وهذا هو دينهم الذي جعلهم يبتعدون على عبوديتهم الحقة لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١١٣].

فأي حق هذا الذي يدعيه هؤلاء الضالون ؟! يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ مبينا تناقض النصارى ومخالفتهم اليهود: «فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح: إنه ساحر مجنون ممخرق ولد زانية، فقالوا: هو إله تام وهو ابن الله! ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان!! ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة !! ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها! ورأوهم يحرمون الخنزير، فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة، وقالوا: كُلْ ما شئت وَدَعْ ما شئت ولا حرج، ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق، ورأوهم يحرمون على الإله نسخ شريعة شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم وبطاركتهم أن ينسخوا ما شاءوا ويحللوا ما شاءوا ويحرموا ما شاءوا. ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد وأوّلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه، ورأوهم ينفرون من الصليب، فإن في التوراة: «ملعون من تعلق بالصليب»، والنصارى تُقرُّ بهذا، فعبدوا هم الصليب، كما أن في التوراة تحريم الخنزير نصًّا فتعبدوا هم بأكله مع إقرار النصارى بأن

---

(١) مقارنة الأديان ـ المسيحية ـ لأحمد شلبي: ٢٦١.

عيسى عليه السلام قال لأصحابه: إنما جئتُ لأعمل بالتوراة ووصايا الأنبياء قبلي، وما جئت ناقضًا بل مُتمِّمًا. فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايدة اليهود»[1].

ونضيف نحن هنا مخالفات أخرى للنصارى فنقول :إن التوراة أباحت الزواج والتعدد فيه، فحرموا هم الزواج بالكلية وقالوا بأن العزوبة أفضل إلا لضرورة، ولا يكون إلا بواحدة، كما وجدوا موسى عليه السلام يبيح الطلاق فحرموه مطلقا ولو بسبب الزنا الواقع من أحد الطرفين! ووجدوا في شريعة موسى عليه السلام القصاص وحد الرجم وعقاب الجناة فألغت النصارى العقوبات والتعزيرات بالكلية، واكتفت بتحلل المذنب من ذنبه على يد القساوسة والرهبان، بصك الغفران مقابل دراهم .

ووجدوا في التوراة النهي عن التصور وعمل التماثيل باعتبارها من الشرك، فملأت النصارى كنائسهم بالصور والتماثيل لعيسى ومريم والحواريين وسجدوا لها وعبدوها من دون الله تعالى.

ووجدوا أن اليهود تزعم بأن إلههم يغفر لليهود فقط دون غيرهم، فأعطوا هم لباباواتهم وقساوستهم حق غفران الذنوب لكل من يؤمن بالثالوث (الآب والإبن والروح القدس).

والأهم من هذا وذلك ـ أصل عقيدتهم ـ حيث وجدوا في التوراة ـ من أولها إلى آخرها بما يسمونه هم العهد القديم ـ الحديث عن إله واحد، وإن كانت النصوص المحرفة قد ألصقت به صفات النقص والحوادث بما لا يقوله عابد عاقل في معبوده . إلا أن النصوص قد تحدثت عن إله واحد هو إله بني إسرائيل وإله موسى فقط ـ على زعمهم ـ فجاءت النصارى وبدلت هذا الأصل في الوحدانية وخالفته واعتقدت بما حير العقول في فهمه وقبوله فقالوا بالآب والإبن والورح القدس ـ ثلاثة في واحد ـ وواحد في ثلاثة . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) هداية الحياري ـ لابن القيم : ١٤٢، ١٤٣ .

خلاصة دين النصارى:

وخلاصة دين النصارى، هو مخالفة العقل والشرع والفطرة، يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى –: «والمقصود أن هذه الأمة جمعت بين الشرك وعيب الإله وتنقصه وتنقص نبيهم وعيبه ومفارقة دينه بالكلية، فلم يتمسكوا بشيء مما كان عليه المسيح لا في صلاتهم ولا في صيامهم ولا في أعيادهم، بل هم في ذلك أتباع كل ناعق مستجيبون لكل ممخرق ومبطل، أدخلوا في الشريعة ما ليس منها وتركوا ما أتت به» (١) اهـ.

ويقول الشيخ صفي الدين المباركفوري: «وأما النصرانية فقد عادت وثنية عسرة الفهم وأوجدت خلطا عجيبا بين الله والإنسان ولم يكن لها في نفوس العرب المتدينين بهذا الدين تأثر حقيقي» (٢) اهـ.

هذه هي الصورة الكاملة لدين النصارى، والتي تظهر بوضوح تام بعدها الكامل عن شريعة الله تعالى وعبوديته الحقة، وعدم تمييزها ألبته بين ألوهية الله عز وجل واستعلائه على مخلوقاته، وبين عبودية العبد وافتقاره لخالقه عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)﴾ [مريم: ٨٨-٩٦].

---

(١) إغاثة اللهفان - لابن القيم: ٢٨٧.

(٢) الرحيق المختوم - لصفي الدين المباركفوري: ٤٨.